المُغَامِرُ الصَّغِيرُ

3

رسوم:
آلاء مرتيني

اسمي مجدي ، سأحكي لكم قصتي التي بدأت عندما كنت تلميذًا في الصف الرابع الابتدائي ، فقد كان والدي يأخذني معه في زيارة لبعض أقاربي، وكنت أتأذى جدًّا، وأشعر بالضيق عندما كنا نمر على أراضٍ صحراوية، خالية من الزرع والسكان، بينما نحن نعيش في منطقة مكتظة بالسكان ، وقلت لوالدي ذات مرة: لماذا لا تقوم الدولة باستصلاح هذه الأراضي وتعميرها بدلاً من أن يتكدس السكان في مناطق ضيقة؟ ولكن والدي كان يقول: يا بني لا تشغل بالك بهذه الأمور دع الخلق للخالق .

وكان والدي يغير الموضوع دائمًا إلى موضوع آخر.

عندما عدنا لبلدتنا، وجدنا الشرطة تقوم بهدم مبنى لأحد سكان القرية، تم بناؤه في الأراضي الزراعية، وتضايقت كثيرًا، وقلت لوالدي:

لماذا تهدم الشرطة هذا المبنى بعد إتمام بنائه ؟

قال: لأنه بُني في أرض زراعية.

قلت: وما الذي يجعل صاحب البيت يفعل ذلك ؟

قال والدي: إنه يريد أن يبني سكنًا.

قلت: ولماذا يضع نفسه في هذا المأزق، إن الصحراء واسعة وكبيرة، لماذا لا نقوم باستصلاحها ؟

قال والدي: أرجوك لا تضايقني يا بني فعقلي مشغول وكفاني ضغوطًا

قلت لك قبل ذلك:

إننا لا نملك من هذا الأمر شيئًا، إنه أكبر من سنك، وكنت ساعتها أصمت .

كنت أشاهد التليفزيون أنا ووالدي وجدت أن هناك مستثمرين قاموا بتجهيز قطع أرض صحراوية في منطقة سهل الطينة، ويقومون ببيعها، وكان سعرها بسيطًا جدًّا ، تحفز ت جدًّا لهذا الأمر ولكن والدي لم يكن يبالي، كان والدي لا يهتم تمامًا بمثل هذه الأمور فكان يعمل موظفًا حكوميًّا ، وكان قد ورث مبلغًا كبيرًا من المال من جدي، ولكنه ادَّخرَه في البنك ولم يشغل باله بأي شيء آخر،

وكلمت والدي في هذا الأمر وهو شراء مساحة زراعية من الأرض المعروضة للبيع ، ولكن والدي قال:

يا بني أنا لست فلاحًا ولا علم لي بالزراعة، وليس هذا من شأني ولكنني ظللت أطلب منه ذلك حتى وافق على شراء مساحة عشرة فدادين في منطقة سهل الطينة، واشتراها والدي من أجلي

وانتهى العام الدراسي وجاءت الإجازة ولم أجد شيئًا أشغل به نفسي، فقلت لوالدي:

لماذا لا نقوم باستصلاح هذه الأرض ؟

قال والدي قلت لك إنني لا أفهم في الزراعة ، ولكن إن وجدت من يستأجرها فسوف أفعل ذلك، ومرت الأيام ولم نجد من يقوم باستئجارها، وظللت أطلب من والدي أن نقوم بزراعتها نحن حتى وافق على ذلك وأخيرًا حصل والدي على إجازة من العمل،

علم صديقي سامي بما ننوي فعله فطلب من والده أن يأتي معنا لنعيش في جو الصحراء الجميل، وما كان منه إلا أن شاركنا في الرحلة، وكانت عنده سيارة كبيرة وكان عندنا أيضًا سيارة كبيرة ، فقمنا بتحميل كل ما يلزمنا من خيم وادوات زراعية واغذية تكفي لمدة طويلة وغيره واتجهنا إلى الأرض ، وكان يومًا شاقًّا ، ولكنه كان ممتعًا وقمنا بنصْب الخيم وتجهيز المكان الذي سنستقرُ فيه .

كانت المنطقة كلُها خاليةَ من السكان، وهي عبارة عن أراضٍ زراعية خالية من السكان باستثناء العمال الذين يأتون للعمل في الأرض، وإن كانت العمالة نادرة هناك . ووجدنا صنبورًا كبيرًا للمياه على مقربة منا، فحمدنا الله ووجدنا أيضًا بئرًا مائيًّا كبيرًا على مقربة من أرضنا، حمدنا الله، وإن كان ذلك سيكلفنا كثيرًا من الجهد .

كان أول أمر فكرنا فيه هو توصيل البئر بأرضنا، وطبعًا ذهب والدي وجاء بالعمال وظللنا نعمل حتى تم توصيل البئر بأرضنا وتجهيز شبكة الري . والخطوة التالية هي شراء ماكينة ري، واتصل والدي بأحد اصدقائه في البلدة، فقام على الفور بإحضار ماكينة الري مناسبة للمساحة الزراعية، وقمنا بتركيبها .

والخطوة التالية هي حرث الأرض وتجهيزها للزراعة وهو ما يحتاج إلى ماكينة حرث .

وقمنا بالاتصال بأحد الفلاحين المحيطين بنا، وأعلمنا بمكان صاحب الماكينة، وذهبنا إليه وقام بتجهيز الأرض .

والخطوة التالية هي شراء البذور وبعض التجهيزات التي تحتاج إلى العمالة، وقمنا بالاتفاق مع العمال هناك على تجهيز ذلك، وقمنا بشراء البذور وما يلزم الزراعة، ولم يمر وقت طويل حتى قمنا بزراعة الأرض، وأصبحت بعد أيام من زراعتها خضراء تسر الناظرين.

كنا نعلم أن إجازة العام ستنتهي وسوف نعود إلى منازلنا؛ ولهذا اقترحت على والدي تجهيز مكان مناسب للإقامة لأننا سنقوم بإحضار أحد العمال من قريتنا مع أسرته لمزرعتنا، وندفع له مرتبًا كل شهر لكي يقوم برعايتها وهو مقيم بها .

وفعلاً استطعنا أن نقوم بتجهيز حجرتين مناسبتين واحدة للعامل والأخرى للأدوات التي تحتاجها الزراعة .

ولم يمض وقت طويل، فقد كان الوقت يمر سريعًا دون أن نشعر وللأسف الشديد كانت إجازة العام الدارسي قد انتهت واضطررنا للعودة إلى منازلنا لأكمل دراستي ، ولكي يعود والدي إلى عمله الذي حصل منه على إجازة بدون مرتب لنخوض تجربتنا هذه،

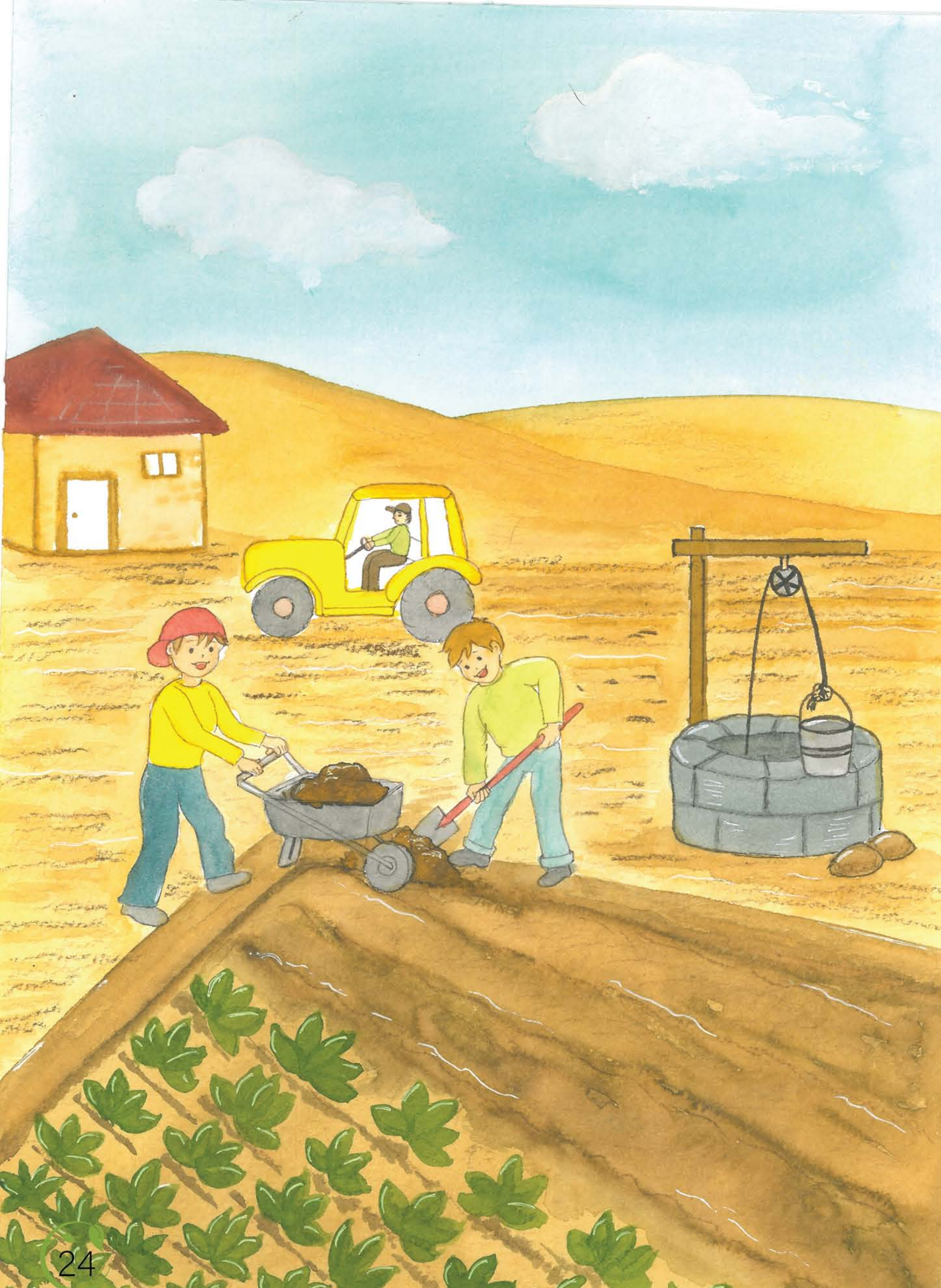

واطمأن والدي بخصوص الأرض التي اصبحت مزروعة، وقد قمنا بإكمال دورنا وقمنا بإحضار عامل مع أسرته للإقامة في المزرعة ورعايتها مقابل أجر شهري . وقام العامل برعاية الأرض رعاية جيدة . كان والدي يذهب له كل شهر ليطمئن على الأرض ويحضر له ما يلزمه من البلدة وما يلزم الأرض أحيانا .

ومرت ستة شهور وحصدنا المحصول، وكان المحصول متوسطًا ولم يكن كبيرًا وهذا إنجاز كبير خاصة أن الأرض حديثة الاستصلاح .

ومع ذلك عوضنا النفقات التي أنفقناها بالإضافة إلى ربح بسيط، فرح والدي جدًّا واقتنع بهذا المشروع، وقال: إن ما قمنا بتجهيزه لن نقوم بتجهيزه ثانية لأنها ثوابت للأرض وقام العامل بزراعة الأرض بمحصول يتم نضجه بعد فترة بسيطة لمدة ثلاثة أشهر بحيث يتم حصاده مع نهاية العام الدراسي

وانتهي العام الدراسي، ونجحت بتفوق، وعلى الفور طلبت من والدي الاتجاه إلى قطعة الأرض وتكرر ما حدث العام السابق ، ولكن هذه المرة كان جار لنا يريد أن يبيع أرضه ومساحتها عشرون فدانًا بسعر مناسب، وأعلمت والدي بذلك ، و رفض في أول الأمر ولكن بعد إلحاح مني اقتنع واشتراها، وطلبت من والدي أن نحضر عاملاً آخر مع أسرته، ووافق والدي حتى يتعاون العاملان ويقوما بإيناس بعضهما بعضًا، وقمنا ببناء مسكن مناسب لنا ولهم بحيث أصبح هناك مبنى كامل في المزرعة .

وقمنا بزراعة عدة أشجار مثمرة حول المبنى . في نفس الوقت كنا نقوم بزراعة الأرض ورعايتها وانتهت الإجازة، وكان المحصول قد تم حصاده، وكان هناك ربح معقول بعد أن خصمنا ما انفقناه من مبانٍ وغيرها، فرح والدي جدًّا بذلك، وقال إن استثمار المال في زراعة الأرض مشروع مربح، والأرض كلما أنتجت زاد سعرها، وانتهت الإجازة وعدنا إلى منازلنا، وتركنا العمال ، وكان والدي يزورهم كل شهر بسيارته للاطمئنان عليهم .

ومر العام الدراسي وكانت الأرض قد أعطت محاصيلَ طيبة ، عادت بالربح علينا وحصلنا على مبلغ كبير من المال، وانتهى العام الدراسي، ونجحت بتفوق وقد أنهيت الصف السادس الابتدائي، وعلى الفور اتجهنا معًا إلى الأرض وعلمنا أن هناك جارًا آخر يريد بيع قطعة الأرض الخاصة به ، وكانت مساحتها عشرين فدانًا ، وعلى الفور اشتراها والدي فقد ربحنا من المحاصيل التي زرعناها . تكرر ما حدث الأعوام السابقة وقد ظللنا نزرع الأرض حتى انتهت الإجازة ، وعدنا إلى منازلنا ، وهكذا فقد ربحت الأرض وادخر والدي المال لحين الحاجة إليه ، و انتهى العام الدراسي ، وعدنا ثانية إلى قطعة الأرض ولكن هذه المرة اشترى والدي خمسين فدانًا لم

تكن مجهزة وكان سعرها بسيطًا جدًّا، وأيضًا اشترى والدي ماكينة حرث وماكينة ري كبيرة أخرى لإكمال زراعة الخمسين فدانًا ، وأحضر عاملاً آخر مع الاثنين الآخرين ، وقمنا بتوصيل ماسورة مياه كبيرة إلى منطقتنا ، وقمنا بتوصيل خط كهرباء إلى منطقتنا حتى وصلت الإنارة والكهرباء إليها أصبحنا نشاهدُ التليفزيون أثناءَ الراحةِ ونسمعُ الإذاعة.

وهكذا أصبح المكان مناسبًا للإقامة وخاصة وأن والدي قام بتجهيز مبنى آخر بجوار المبنى الأول حتى يستوعب كل العمال ويستوعبنا أيضًا ومن يأتي لزيارتنا ، وكان هدف والدي أن تأتي الاسرة كلها للإقامة في هذا المكان .

وانتهت الإجازة وعدت إلى منـزلي وأكملتُ العام الدراسي , انتهيتُ منهُ بنجاحٍ ثم عدتُ هذه المرة مع أسرتي كلها وقد قررنا أن نقيمَ في هذا المكان .

وسعدنا أن أصبحَ هناك على مقرُبةٍ منا في المزرعة التي بجوارنا يوجد هناك مسكن صغيرٌ مما شجعنا على الاستمرار في العملِ وحب المكان.

و كنا كل عام نقوم بشراء قطعة أرض جديدة حتى أصبح لدينا أربعمائة فدان، وكنت عندها في الصف الثالث الثانوي، ولكن المنطقة أصبحت يوجد بها أكثر من خمسين مبنى يقيم به الأفراد .

مدرسة المغامر الصغير

ونجحت في الثانوية العامة لألتحق بكلية الهندسة، ثم ألتحق بقسم المدني وهو الخاص بالعمران والتخطيط ، وأنا أشرف على الأرض مع والدي والمنطقة تزداد كثافة للسكان كل عام عن السابق له ، وبعد أن أنهيت دراستي بكلية الهندسة تم تعييني مشرفًا هندسيًّا على هذه المنطقة ، وبذلت مجهودًا كبيرًا ، ولكي أقوم بإكمال إعمار هذه المنطقة، وقمت بتوصيل كافة المرافق الخاصة بها.

وقمت ببناء مدرسةٍ كبيرة ومستشفى، وأخيرًا قمت ببناء خمسة مساكن على نفقتي الخاصة؛ لأن الدولة لم تساعدني في ذلك بحجة قلة الميزانية ، فلم أنتظر حتى تتيسر الميزانية في الدولة .

أصبحت المنطقة مأهولة بالسكان ، وسميت هذه المنطقة بمنطقة المغامر الصغير نسبة إلى المجهود الذي بدأت فيه بالعمل والسعي لإعمار هذه المنطقة ، وحتى بعد أن أكملت تعليمي أكملت دوري في بنائها ، وأصبح اسمي مقترنًا بهذا المكان وتاريخي مرتبطًا بتاريخه .

وتمر الأيام لأصبح وزيرًا للتعمير وأكتب في مذكراتي قصتي مع هذه المدينة الجميلة مدينة المغامر الصغير.